شَوْق المُحِبّ وابتهاج القلب لربيع الحُبّ بمولد الحِبّ صلواتٌ وتسليماتٌ عليه وآله من الربّ

2023-09-15

الحمد لله الذي زيّن أقطار العالم بظهور أنوار شهر ربيع. وبيّن للعالمين مراتب أقدار هذا الشهر الرفيع. حيث أنعم علينا فيه بإظهار سيّد البشر. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وقدّر وِلادته في هذا الشهر الشريف الأزهر. فأكرِم به شهرا مباركا سعيدا. وموسما فاضلا وعيدا.

هذا ربيعٌ قد أتاكَ مُبشِّرا * بقدومِ مولدِ خيرِ مَن وطِئ الثَّرَى

لا شكَّ فيه أنه في فضلِهِ * بين الشهورِ كمِثْلِ أحمدَ في الورَى

وافاكَ يزهُو بين أشهرِ عامِهِ * متهلِّلا مُتدَلّلاً مُتَبَخْتِرَا

بَهَرَ الشهورَ بليلةٍ نبويةٍ * ضَمِنَت له آياتُها أنْ يَبْهَرَا

أَرِجَ الزَّمَانُ بذِكره فكأنَّ في * الأفواهِ مِنْ ذكراه مِسْكاً أذْفرَا

سبحانك اللهم ما توالدت الأفراح. إلا بحمدك يا فتّاح. وما عَبَق طِيب النِّعَم وفاح. إلا بشكرك في المساء والصباح. وما تتابعت البُشَر. وبَاءَ وَبَاءُ الشِّرك بِشَر. إلا بميلاد أكمل البَشَر. مَن أضاء نُوره وبرز في العالمين وانتشر. اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك. على صاحب ذاك النُّور الذي ليس له في علوّ شرفه مشارِك. سيّدِنا ومولانا محمدٍ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المطّلِب. النبيِّ المقرَّب لحضرة الرّبّ. ونشكرك اللهمّ شُكر أحبابِ حبيبِك الذين بسطتَّ لهم موائد إمداده في السر والنجوى. وألبستَهم ببركة التعلّق به لباسَ الإيمان والتقوى. وجعلتَ لهم مولده المبارَك موسما كريما مبرورا. وعيدا سعيدا عظيما مشكورا. تهبّ في كل عام منه على قلوبهم نسماتُ رحماتِه. وتنصبّ فيه عليهم فيوضاتُ خيراتِه. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جعل أرواح المحبّين تستروِح بذِكْر حبيبِهِم في جميع الأحوال.

وجعل قلوب العاشقين تطِيب بالثناء عليه. وتنشرِح بكثرة الصلاة والسلام عليه. وسماع مَدْحه وما له من خصال الكمال.

لِمَوْلِدِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَفْرَحُ جَاهِدًا * وَأَمْرَحُ فِي رُوحِي وَأَطْرَبُ فِي جِسْمِي

فَصَفِّقْ وَسَاعِدْ بِالتَّوَاجُدِ وَالْغِنَا * وَلَا تَقْتُلِ النَّفْسَ الْمَشُوقَةَ بِالْكَتْمِ

فَهَذَا رَبِيعُ الدَّهْرِ أَقْبَلَ بَاسِمًا * عَلَى وَجْنَتَيْهِ الْبِشْرُ يَرْفُلُ فِي سِلْمِ

فَدَتْكَ الشُّهُورُ الْغُرُّ يَا بَهْجَةَ الدُّنَا * وَيَا دُرَّةَ النَّحْرِ الْبَدِيعَةَ فِي الْيُتْمِ

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه. وحبيبه وخليله. النبيُّ الرؤوف. ذي الجاه العريض والقلب العطوف. الموصوف بالتبجيل والتعظيم. والمخصوص بالخُلق العظيم. والقلب الرحيم. مَن أطلعَ الله تعالى في سماء الكمال بدْرَ جماله الأتمّ. وخَلَع عليه حُلَل الرّسالة وأَنْزل عليه: ((إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)). مَنْ لاحت شواهد محبّته على وجوه ذوي التشريف والتّكريم. وظهرت بشائر عنايته في محافل أهل القرب والتقديم. الْمُخاطَب بلسان سِرِّ محبّة الله الودود الحكيم: ((يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)).

فعليه صلُّوا كلُّكمْ وتمتّعوا * يا حاضرين بمدحه وتتبّعُوا

آثارَه وتوسّلوا وتشفّعوا * فملاذُنا المولى المعظَّمُ أحمدُ

صلّوا على خير البريّة تَسعَدُوا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيّدنا محمد. المخصوص بمراتب الرفعة والإمامة. وعلى آله الذين أَجرَيْتَ على أيديهم خوارق العادات وبواهر الكرامة. وصحابته الذين جعلتَ لهم نصرة دينك القويم شعارا وعلامة. صلاة نكون بها ممّن غرقوا في بحر محبّة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم وشربوا مُدامه. وهاموا في جمال ذاته واستعذبوا غرامه. فانتخَبوا

مَدْحه وحسّنوا نظامه. وعظّموا في قلوبهم بُروره وأظهروا احترامه. فنالوا بذلك تتويج الله لهم بتاج الشرف والكرامة. وقرّبهم قرب المحبوبين حتى بلغ كلّ منهم قَصْده ومَرامه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أَمَّا بَعْدُ:** فيا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم.

يا أمّة الهادي الحبيب تباشروا * بقدوم شهرِ ربيع ذي الأنوارِ

شهرٌ حوى شرفَ الشهور جميعِها * أن زاد فيه الهاشِمِي المختارِ

صلّوا عليه وسلِّموا وتمدّحوا * فبجاهه تنجوا من الأخطارِ

زيِّنِ اللهمّ ظواهرَنا وبواطِنَنَا بأنوار الصلاة والسلامْ، على خيرِ مَن طاب به الاِفتتاحُ وتعطَّر بطِيب الثناء عليه المجلسُ ولَذَّ به الاِختِتامْ، سيّدِنا وسندِنا ومولانا محمد. أفضل موجود. وأكملِ مولود. وتاجِ الرُّسل الكرامْ. اللهمّ صلِّ وسلِّم وبارِك عليه. وعلى آله وصحبِهْ، صلاةً تُغرقُنا بها في بحر مودّتِه وحُبِّهْ، وتجعلُنا بها من كُمَّل طائفتِهِ الناجية وحِزبِهْ. يا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. لا يملك المحبّ إذا فاحت ذكرى محبوبه إلا أن يهتزّ. ثم يعبّر عن مشاعره الفيّاضة نظما ونثرا. وها هوَ شَهرُ رَبيعٍ الأنور سيهلّ علينا بطلعته البهية، حاملا من رب البرية. أزكى هبة وعطية. مذكِّرا لنا بالحدث الفريد. الذي عرفته الدنيا في مثل هذا الظرف السعيد. حيث تشرّف الوجود. بميلاد خير مولود. صلى الله عليه وآله وسلم. سيّد الأصفياء. وإمام الأنبياء. وأُسوة أهل الإيمان. وقدوة عباد الرحمان. فنسأل الله تعالى أن يجعل دخول هذا الشهر الأغر. شهر ربيع الأزهر. على جميع الأمّة. دخول الخير والأمن. والعافية والسلامة. وصلاح الأحوال الخاصّة والعامّة. فمرحباً أهلاً وسهلاً. بِشَهرٍ وُلِدَ فيهِ مَن خاطبه ربّ العالمين. فقال: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين)). مرحباً أهلاً وسهلاً. بِشَهرٍ وُلِدَ فيهِ مَن منّ به الله على الخلق أجمعين. فقال: ((لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِين)).

مرحباً أهلاً وسهلاً. بِشَهرٍ وُلِدَ فيهِ مَن بشّرنا ربّنا بمجيئه الكريم. فقال: ((لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم)). يا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. ما أبهاها من مناسبة؛ وما أرفعها من ذكرى، وما أزهاها من أيام؛ لحظاتٌ لا كاللحظات، وشهرٌ لا كالشهور؛ فيه تتحرّكُ الأشواقُ، وتنتشي الأرواحُ، وتنصقلُ القلوب، بذِكر أنوار وشمائلِ وخصائصِ وكمالات المصطفى المحبوب، صلى الله عليه وآله وسلَّم. فكلما هلَّ شهرُ ربيعِ الأوّل، تَوَقَّدتْ له فرحةٌ خاصةٌ في قلوب المحبّينَ للحبيب المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلَّم، وسرت في أوصالهم لهفةٌ متجدِّدة لقراءة سيرتِه عليه السلام، وسَرْدِ خصائصِه، وتدارُسِ شمائِله الخَلقيةِ والخُلُقية، واستحضارِ مكارمهِ وكمالاتهِ، واستدعاءِ أطوار بعثتهِ ومراحلِ انبجاسِ رسالتهِ، وذلك استرواحاً للنفوس، وتذكيراً للعقول، وتنبيها للألباب، وتشويقاً للقلوبِ، وتعبيرا عن محبّته صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))، وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم: ((لا يُومنُ أحدُكُمْ حتى أكونَ أَحبَّ إليهِ من ولدِه و والدِهِ والناسِ أجمعين)). لذلكَ، يُفصِحُ المحبّونَ عن مزيدِ فرحهم بالحبيب المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلَّم. عند إشراق هلال ربيع الأوّل، فيرحبّون بهذا الشهرِ الكريم، ويستبشرون لطالعهِ، ويعتبرونه من أجلّ وأرفَعِ وأشرف الأزمان، فهو شهرُ السُّعودِ والتهاني، لكونِه شَرُفَ باحتضانه لمولد زينِ البدورِ. وأفضلِ العالمينَ. وخير الأنام. صلى الله عليه وآله وسلَّم. يا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. وقد أبدع الشاعرُ المحِبُ ابنَ الصباَّغ الجُذامِي في صورةٍ شعرية رائقةٍ، شبَّهَ أفضليةَ شهرِ الربيع بين الشهور بأفضليةِ الحبيب المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الورى، حيث أنشأ يقول:

هَذَا رَبِيعٌ قَدْ أَتَاكَ مُبَشِّرَا * بِقُدُومِ مَوْلِدِ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى

لاَ شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ فِي فَضْلِهِ * بَيْنَ الشُّهُورِ كَمِثْلِ أَحْمَدٍ فِي الوَرَى

وَافَاكَ يَزْهُو بَيْنَ أَشْهُرِ عَامَهُ * مُتَهَلِّلاً مُتَدَلِّلاً مُتُبَخْتِرَا

بَهَرَ الشُّهُورَ بِلَيْلَةٍ نَبَوِيَّةٍ * ضَمَنَتْ لَهُ آيَاتِهَا أَنْ يُبْهَرَا

ومن ثَمَّ لم يكنِ الفرحُ بقدومِ شهر ربيعِ الأوّل، سوى مظهرٍ من مظاهرِ الفرحِ بظهور طلعة نبي الرحمة. وهادي الأمّةِ، في هذا الزمن الكريم. الذي حظي بولادة صاحبِ الخُلُقِ العظيم. فصلواتك ربي وتسليماتك على الحبيب المصطفى. وعلى آله وصحبه أهلِ المكارمِ والوفا. يا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. يقول الإمام الهمام. محب سيّد الأنام. عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. ومادحه بأفصح كلام. سيّدي محمد بن سعيد بن حمّاد البوصيري الصنهاجي. رحمه الله ورضي عنه. في همزيّته المديحية في جناب سيّد البرية. سيّدنا ومولانا محمد. عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية:

ما مضتْ فَترةٌ من الرُّسْلِ إِلّا * بَشَّرَتْ قومَها بِكَ الأَنبياءُ

يُصدِّق قولَه قولُ الحق جل جلاله. على لسان نبيّه سيّدنا عيسى. على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام: ((وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَاتِي مِن بَعْدِيَ اسْمُهُ أَحْمَدُ)). صدق مولانا جل جلاله. فإذا كان رُسُل الله الكرام. عليهم الصلاة والسلام. بشّروا بقدوم رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. فكيف بنا نحن معشر أمّته؟ واللهُ تعالى يقول: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)). فما تشرّفنا وما نِلنا هذه الخيرية إلا بسيّدنا ومولانا محمد رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. فلنبشِّر بقدوم شهر ميلاده. ولننشر أمداحَه وسيرتَه العطرة. صلى الله عليه وآله وسلَّم. ثم قال الإمام البوصيري:

وَتَوَالَتْ بُشْرَي الهَواتف أَنْ قَدْ * وُلدَ المُصْطَفَي وَحَقَّ الهَنَاءُ

وقد ثبت في كُتب السيرة أنه لمّا وُلد صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا بهاتفٍ يُسمع ولا يُرى. وهو يَنشد ويقول:

فَأُقْسِمُ لَا أُنْثَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ * وَلَا وَلَدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدهْ

كَمَا وَلَدَتْ زُهْرِيَّةٌ ذَاتُ مَفْخَرٍ * مُجَنَّبَةٌ لُؤْمَ الْقَبَائِلِ مَاجِدَهْ

فَقَدْ وَلَدَتْ خَيْرَ الْقَبَائِلِ أَحْمَدَا * فَأَكْرِمْ بِمَوْلُودٍ وَأَكْرِمْ بِوَالِدِهْ

كذالك ورد أنه حين ولادته صلى الله عليه وآله وسلَّم أضاءت الأنوارُ قصورَ بُصرى بالشام. وخمدت نار الفرس. وانكسر إيوان كسرى. ومُنعت الشياطين إختراق السمع. ورُجمت بالشهب. وحدثت يوم ولادته صلى الله عليه وآله وسلَّم بلاغات وبشرات وعلامات. فرحا وسرورا بمقدمه الشريف. صلى الله عليه وآله وسلَّم. كيف لا وقد أرسله الله رحمة للعالمين. وشفيعا للمذنين. فقال الحق جل جلاله: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)). يا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. وبنص صريح أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالفرح به. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. حيث قال جل وعلا: ((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)). فلْتفرَحوا يا أمّة الحبيب بحبيبكم ونبيّكم. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. ولْتَمدحوه بأحسن المدائح. ولْتُطرِبوا بسماع سيرته وشمائله الجوارح. فمدْحُه مفتاح المصالح. وهو العمل الصالح. وهو تجديد للعهد معه. وسقيٌ لمحبّته. وسببٌ للقرب منه. ونيلٌ لشفاعته. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. فقد ورد أنه صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم قال: ((من مدحني ببيتٍ من الشِّعر كنتُ شفيعه يوم القيامة)). يا أحباب رسول الله. صلَّى الله عليه وآلِه وسلَّم. وحُبُّ العبد لرسول صلى الله عليه وسلم لا يتمثّل فقط في طاعته وتنفيذ أوامره، بل إنّ من مظاهِر محبّتِه الكاملة ذكرُه وتذكُّرُه دائمًا. وتمنِّي رؤيته. والشوق إليه. والتمتّع بالنظر إليه في الجنان. فذكرى المولد النبوي الشريف تحقّق الشوق إلى رسول الله وتؤجّجه. لأنّ الإيمان عند المسلم يزيدُ ويَنقُصُ، والحُبُّ والشوق من الإيمان، ولقد تأتي على المسلم لحظات

تكون فيها نبتَةُ الشوق عنده ذابلةً تحتاج إلى ما يدفعها للنموّ كي تكبُرَ. وتخْضَرَّ وتُزهِرَ. ويفوحَ شذاها ويُثمِر، وهناك مناسبات يكون فيها إذكاءُ الشوق مُيَسَّرا، وتكون قنواتُ القلب فيها مفتوحةً، ومن هذه المناسبات ذكرى المولد النبوي الشريف. كما قال محبٌّ هيّجَتْ ذكرى المولد شوقَه:

يا مولدَ المصطفى ذِكراكَ تُولِعُنا * بنارِ شوقٍ إلى لُقياكَ تَشتعِلُ

ذَكَّرتْنـا ماضيًّا نشتـاقُ عودتـَهُ * وسادةً بأَدِيم الأرض تنـتعـلُ

فما على المؤمن المحبِّ العاشق الولهان إلا أن يغتنم هذه المناسبة وغيرها. فلا تمرّ عليه إلا وقد استفاد منها خير استفادة، ونمَّى فيها من حبّه وعِشْقه وشَوقه لمحبوبه صلى الله عليه وآله وسلَّم، واحتفل بها احتفالا صحيحا مشروعا نافعا، مُنْهِضا للعمل وللهمّة رافعا، بعيدا عن الإثم والزَّلَل، غير مُخالِف لما جاء به المصطفى الكريم. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وعلى قَدْرِ عُمْقِ الحب والإيمان في قلب المسلم. يكون التعلّق بذكرى مولد رسوله، صلى الله عليه وآله وسلَّم. وذلك برهان على العلاقة الوطيدة التي تربطه بحبيبه المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وبرسالته الخالدة، وبالسلسلة النُّورانية التي أحبَّت رسولَ الله على مر الأيام. منذ ولادته إلى الكينونة معه في الجنان. صلى الله عليه وآله وسلَّم. اللهم أحيي قلوبنا بإحياء ليالي مولد حبيبك الشفيع الأعظم. وأعنّا على شكرك بما تفضّلت به علينا بوسيلتنا العظمى حبيبنا النبيّ الأكرم. سيّدنا ومولانا محمد. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وأطلِق اللهم ألسنتنا بالصّلاة والتسليم عليه. كما صلّيتَ عليه وأمرتَ الأمّة أن تصلّي وتسلّم عليه. اللهم اجعل لنا مِن ذكرى ميلادِه صلى الله عليه وآله وسلَّم نيلاً لكريمِ وشريفِ محبَّتِه ووِدادِه، اللهم أسعِدنا بإسعادِه. وأَمِدَّنا بإمدادِه، وثبِّتنا على دربِه، واسقِنا مِن شُربِه يا أرحم الراحمين، واملأ قلوبَنا وقلوبَ أهالينا وأولادِنا بمحبَّتِك ومحبتِه. حتى تكونَ ورسولَك أحبَّ إلينا ممّا سِواكما، اللهم أحيِنا على ذلك. وتوفَّنا على ذلك، وأعِذنا من جميعِ الآفاتِ والمهالكِ، اللهم يا حيٌّ يا قيومُ. أحيِ قلوبَنا بأنوار

الصِّدقِ معك في ذكرى ميلاد نبيِّك. صلى الله عليه وآله وسلَّم. أحيِ القلوب بأنوار الإيمان. وأدخِلنا في دوائر أهل الإحسان، وارفعنا إلى أعلى مكانٍ في الإستقامة على ما تحبّه منّا في السر والإعلان. اللهم واجعل لنا من تقواك في ذكرى ميلادِ نبيِّك ما نمتلأ به إيمانا ومحبةً وثقةً بك وبوعدِك. واتّباعاً لنبيِّك. برحمتِك يا أرحم الراحمين. اللهم بما نوَّرتَ به قلوبَ الرعيل الأوّل مِن محبَّتك ومحبةِ هذا الحبيب. وكمالِ الإيمان. فانظر إلى قلوبِنا فنوِّرها من ذلك النُّور، وأدخِلنا في دوائرِ أهلِ ذلك العملِ المَبرور. والسَّعيِ المَشكور. يا أكرمَ الأكرمين، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربِّ العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين. اهـ